

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[100] على أنّه ينبغي الالتفات إلى أنّ إضافة "الناقة" إلى "الأ" في الآيات الحاضرة من قبيل الإضافة التشريفية - كما هو المصطلح - فهي إشارة إلى أنّ هذه الناقة المذكورة لم تكن ناقة عادية، بل كانت لها ميزات خاصّة. ثمّ إنّّه يقول لهم: اتركوا الناقة تأكل في أرض الأ ولا تمنعوها (فدروها تأكل في أرض الأ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم). وإضافة الأرض إلى "الأ" إشارة إلى أنّ هذه الناقة لا تزاحم أحداً، فهي تعلق من علف الصحراء فقط، ولهذا يجب أن لا يزاحموها. ثمّ يقول في الآية اللاحقة (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض) أي من جانب لا تنسوا نعم الأ الكثيرة، ومن جانب آخر انتبهوا إلى أنّه قد سبقكم أقوام (مثل قوم عاد) طغوا فحاق بهم عذاب الأ بذنوبهم وهلكوا. ثمّ ركز على بعض النعم الإلهية كالأرض فقال: (تتخذون من سهولها قصوراً، وتنحنون الجبال بيوتاً)، فالأرض قد خلقت بنحو تكون سهولها المستوية والمزودة بالتربة الصالحة لإقامة القصور الفخمة، كما تكون جبالها صالحة لأن تنحت فيها البيوت القوية المحصنة لفصل الشتاء والظروف الجوية القاسية. ويبدو للنظر من هذا التعبير هو أنّه كانوا يغيرون مكان سكناهم في الصيف والشتاء، ففي فصل الربيع والصيف كانوا يعمدون إلى الزراعة والرعي في السهول الواسعة والخصبة، ولهذا كانت عندهم قصور جميلة في السهول، وعند حلول فصل البرد والإنهاء من الحصاد يسكنون في بيوت قوية منحوتة في قلب الصخور، وفي أماكن آمنة تحفظهم من خطر السيول والعواصف والاختطار. وفي ختام الآية يقول تعالى: (فاذكروا آلاء الأ ولا تعثوا في الأرض